الكامل التام الذي لا ينقص من واجباته شيء والمقصود أن من جملة خصال الإيمان الواجب
أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فإذا زال ذلك عنه فقد نقص
إيمانه بذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه أحب للناس ما تحب
لنفسك تكن مسلما خرجه الترمذي وابن ماجه وخرج الإمام أحمد من حديث بن جبل رضي الله عنه أنه
سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان قال أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله
وتعمل لسانك في ذكر الله قال وماذا يا رسول الله قال أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم
ما تكره لنفسك وأن تقول خيرا أو تصمت وقد رتب دخول الجنة على هذه الخصلة ففي مسند
الإمام أحمد عن يزيد القسري بن أسد القشيري رضي الله قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحب أن
تدخل الجنة قال نعم قال فأحب لأخيك ما تحب لنفسك وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو
بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه وفيه أيضا
عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي
لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو صلى الله
عليه وسلم يحب هذا لكل ضعيف وإنما كان يتولى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك وأمره بدعاء
الخلق كلهم إلى طاعته وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرضى لك ما أرضى لنفسي وأكره لك ما أكره لنفسي لا
تقرأ القرآن وأنت جنب ولا وأنت راكع ولا ساجد وكان محمد بن واسع رحمه الله يبيع
حمارا فقال رجل أترضاه لي قال لو رضيته لم أبعه وهذا إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما
يرضى لنفسه وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين التي هي من جملة الدين كما سبق تفسير
ذلك في موضعه وذكرنا فيما تقدم حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر خرجاه في الصحيحين وهذا يدل على أن المؤمن يسره ما
يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله إنما يأتي من سلامة
الصدر من الغل والغش والحسد فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد أو
يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم والإيمان يقتضي
خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء وقد
مدح الله تعالى في كتابه من لا يريد العلو في الأرض ولا الفساد فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وروى ابن جرير بإسناد فيه نظر عن
علي رضي الله قال إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وكذا روي عن الفضيل
بن عياض في هذه الآية قال لا يحب أن يكون نعله أجود من نعل غيره وقد قيل إن هذا محمول على

انه اراد

أنه أراد الفخر على غيره لا مجرد التجمل قال عكرمة وغيره من المفسرين في هذه الآية العلو في الأرض التكبر
وطلب الشرف والمنزلة عند ذي سلطانها والفساد العمل بالمعاصي وقد ورد ما يدل على أنه لا يأثم
من كره أن يفوقه من الناس أحد في الجمال فخرج الإمام أحمد والحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود
رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فأدركته وهو يقول
يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أن أحدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما أليس
ذلك هو البغي فقال لا ليس ذلك بالبغي ولكن البغي من بطر الحق أو قال سفه الحق وغمص الناس وخرج
أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه وفي حديثه الكبر بدل
البغي فنفى أن يكون كراهته لأن يفوقه أحد في الجمال بغيا أو كبرا وفسر البغي والكبر ببطر الحق
وهو التكبر عليه والامتناع من قبوله إذا خالف هواه ومن هنا قال بعض السلف التواضع
أن تقبل الحق من كل من جاء به وإن كان صغيرا فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان كبيرا أو صغيرا وسواء
كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبى قبول الحق تعاظما عليه فهو متكبر وغمص الناس هو
احتقارهم وازدراؤهم وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص
وفي الجملة فينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه فإن رأى في أخيه
نقصا في دينه اجتهد في إصلاحه قال بعض الصالحين من السلف أهل المحبة لله نظروا بنور
الله وعطفوا على أهل معاصي الله مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم وأشفقوا
على أبدانهم من النار لا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه فإن رأى في غيره
فضيلة فاق بها عليه تمنى لنفسه مثلها فإن كانت تلك الفضيلة دينية كان حسنا وقد تمنى
النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه منزلة الشهادة وقال لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو
ينفقه آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤه آناء الليل وآناء النهار وقال
في الذي رأى من ينفق ماله في طاعة الله فقال لو أن لي مالا لفعلت فيه كما فعل فهما في الأجر سواء
وإن كانت دنيوية فلا خير في تمنيها كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وأما قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمني الرجل نفس ما أعطي أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه
وفسر أيضا بتمني ما هو ممتنع شرعا أو قدرا كتمني النساء أن يكن رجالا أو يكون لهن مثل ما للرجال
من الفضائل الدينية كالجهاد والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل إن الآية
تشمل ذلك كله ومع هذا كله فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية ولهذا أمر
أن ينظر في الدين إلى من فوقه وأن ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ولا يكره أن أحدا يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه ويحثهم على ذلك
وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان قال الفضيل إن كنت تحب أن يكون الناس مثلك فما أديت

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)